[الْمَحَـــاسِنُ الْمَـرْعِيَّـةُ، فِي قِيادةِ الْمَرَاكِبِ الْعَصْرِيَّةِ]

الْخُطْبَةُ الْأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ اِقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ قَدْ أَوْجَبَ عَلَيْنَا السَّعْيَ فِيمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا كُلَّ أَنْوَاعِ الِاسْتِهْتَارِ وَالْفَسَادِ، وَصَانَ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ وَأَكْرَمَهَا، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا إِيذَاءَهَا أَوْ قَتْلَهَا، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا حِفْظَهَا وَرِعَايَتَهَا، وَفَرَضَ عَلَيْنَا مَا يَضْمَنُ وِقَايَتَهَا وَسَلَامَتَهَا،وَفِي ذَلِكُمْ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ:أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ... أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ، سَيَكُونُ عُنْوَانُ خُطْبَتِنَا لِهَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ السَّعِيدِ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى- هُوَ: الْمَحَاسِنُ الْمَرْعِيَّةُ، فِي قِيَادةِ الْمَرَاكِبِ الْعَصْرِيَّةِ، وَسَنُرَكِّزُ كَلَامَنَا عَلَى هَذَا الْعُنْوَانِ مِنْ خِلَالِ ثَلَاثَةِ عَنَاصِرَ:

الْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ: حُسْنُ التَّذَكُّرِ، أَيْ أَنَّ الْمُسْلِمَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُ الْمَرَاكِبَ وَالسَّيَّارَاتِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ دَائِمًا أَنَّهَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى- عَلَى عِبَادِهِ، يَحْمِلُونَ عَلَيْهَا الْأَثْقَالَ، وَيَقْطَعُونَ بِهَا الْمَسَافَاتِ الطِّوَالَ، وَهُمْ فِي طُمَأْنِينَةٍ وَرَاحَةِ بَالٍ، يَقُولُ-سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى- فِي مَعْرِضِ الِامْتِنَانِ:وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. ويَقُولُ – سبحانه - أيْضاً:وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ. وَرَوى الإِمَامُ أحمدُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَـــنُ الْوَاسِـــعُ.وَتَذَكُّرُ النِّعَمِ يَقْتَضِي مِنَّا شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى- عَلَيْهَا، عَمَلًا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ-: وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ... إِذَنْ فَحُسْنُ التَّذَكُّرِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ- يَتَحَقَّقُ بِتَذَكُّرِ أَنَّ الْمَرَاكِبَ وَالسَّيَّارَاتِ نِعْمَةٌ مِنْ النِّعَمِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى- عَلَيْهَا.

الْعُنْصُرُ الثَّانِي: حُسْنُ الِاسْتِعْمَالِ، وَيَتَجَلَّى حُسْنُ الِاسْتِعْمَالِ فِي عِدَّةِ أُمُورٍ مِنْهَا: مُرَاقَبَةُ الْمُرَكَّبِ وَصِيَانَتُهُ بِشَكْلٍ دَوْرِيٍّ، وَمِنْهَا:احْتِرَامُ قَوَانِينِ السَّيْرِ الْمَعْمُولِ بِهَا فِي الْبِلَادِ، وَمِنْهَا: عَدَمُ الِاشْتِغَالِ بِعَمَلٍ آخَرَ أَثْنَاءَ الْقِيَادَةِ، كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، أَوْ الْكَلَامِ مَعَ الْغَيْرِ، أَوْ الِاتِّصَالِ عَبْرَ الْهَاتِفِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُشَتِّتُ ذِهْنَ السَّائِقِ، لِأَنَّ نِعْمَةَ الْمَرَاكِبِ وَالسَّيَّارَاتِ إِذَا لَمْ يُحْسَنْ اسْتِعْمَالُهَا فَإِنَّهَا قَدْ تَتَحَوَّلُ إِلَى نِقْمَةٍ، وَإِلَى آلَةِ قَتْلٍ وَدَمَارٍ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الْوَاقِعِ، فَعَدَدُ الْقَتْلَى فِي حَوَادِثِ السَّيْرِ الَّتِي وَقَعَتْ سَجَّلَ ارْتِفَاعًا وَعَزَا الْمَسْؤُولُونَ ذَلِكَ إِلَى سُوءِ الِاسْتِعْمَالِ، الْمُتَمَثِّلِ فِي عَدَمِ احْتِرَامِ السُّرْعَةِ وَعَدَمِ الِانْتِبَاهِ، وَعَدَمِ التَّحَكُّمِ وَالتَّجَاوُزِ الْمَعِيبِ، وَلْنَعْلَمَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ مَنْ أَخَلَّ بِهَذِهِ الْقَوَانِينِ فَإِنَّهُ لَمْ يُحْسِنْ الِاسْتِعْمَالَ، وَيَتَحَمَّلُ الْمَسْؤُولِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ عَمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الْحَوَادِثِ أَوْ الْإِصَابَاتِ أَوْ الْقَتْلَى، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى- يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ:وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... ويَقولُ - سُبحانهُ وتَعالى -: وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. إِذَنْ فَحُسْنُ الِاسْتِعْمَالِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ يَتَحَقَّقُ بِصِيَانَةِ الْمَرَاكِبِ وَاحْتِرَامِ قَوَانِينِ السَّيْرِ، حِفَاظًا عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِكِتَابِهِ الْمُبِينِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفِي الْكَرِيمِ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ آمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ اقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الْعُنْصُرُ الثَّالِثُ: حُسْنُ الْخُلُقِ، فَالسِّيَاقَةُ تَعْكِسُ سُلُوكَ السَّائِقِ وَأَخْلَاقَهُ، وَمِنْ مَظَاهِرِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي السِّيَاقَةِ: تَخْفِيفُ سُرْعَةِ السَّيَّارَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ فِي مِنْطَقَةٍ فِيهَا مِيَاهٌ، لِكَيْلَا يَتَطَايَرَ الْمَاءُ عَلَى الْمَارَّةِ، وَمِنْهَا: عَدَمُ اسْتِخْدَامِ مُنَبِّهِ السَّيَّارَةِ إِلَّا فِي حَالَةِ الضَّرُورَةِ الْقُصْوَى، وَمِنْهَا: تَرْكُ مَسَافَاتٍ آمِنَةٍ بَيْنَ السَّيَّارَاتِ، وَعَدَمُ الْمُزَاحَمَةِ

وَالِالْتِصَاقِ بِالْآخَرِينَ، وَمِنْهَا: عَدَمُ الْوُقُوفِ فِي الشَّارِعِ لِإِلْقَاءِ التَّحِيَّةِ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ وَعَرْقَلَةِ السَّيْرِ ،وَمِنْهَا: عَدَمُ اِسْتِخْدَامِ الضَّوْءِ الْعَالِي لَيْلًا، لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ يَتَسَبَّبُ فِي تَشْتِيتِ انْتِبَاهِ السَّائِقِينَ وَوُقُوعِ الْحَوَادِثِ، وَمِنْهَا: إِعْطَاءُ حَقِّ الْأَوْلَوِيَّةِ لِلرَّاجِلِينَ وَسَيَّارَاتِ الْإِسْعَافِ وَالشُّرْطَةِ... وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ حُسْنِ الْخُلُقِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ وَحَثَّ عَلَيْهِ، فَقَدْ رَوَى الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا. إِذَنْ فَحُسْنُ الْخُلُقِ فِي السِّيَاقَةِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ يَتَحَقَّقُ بِاحْتِرَامِ كَافَّةِ الْمُسْتَعْمِلِينَ لِلطَّرِيقِ مِنْ السَّائِقِينَ وَالرَّاجِلِينَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ.

هَذَا وَخَيْرُ مَا نَخْتَتِمُ بِهِ الْكَلَامَ، وَنَجْعَلُهُ مِسْكَ الْخِتَامِ، أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، عَلَى خَيْرِ الْوَرَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ- بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأُمِيِّ الْأَمِينِ فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. اَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ، السَّادَاتِ الْأَصْفِيَاءِ الْحُنَفَاءِ،اَلرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ الْمُهْتَدِينَ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، أَللَّهُمَّ اِنْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِمْ، وَاحْشُرْنَا يَا مَوْلَانَا فِي زُمْرَتِهِمْ، وَلَا تُخَالِفْ بِنَا اَللَّهُمَّ عَنْ نَهْجِهِمْ وَطَرِيقِهِمْ اَلْقَوِيمِ، أَللَّهُمَّ اُنْصُرْ اَلْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى اِتِّبَاعِ اَلْحَقِّ يَا رَبَّ اَلْعَالَمِينَ، أَللَّهُمَّ اُنْصُرْ وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ اَلْحَرَمَيْنِ اَلشَّرِيفَيْنِ،أَللَّهُمَّ اِنْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ اَلدِّينَ، وَتَجْمَعُ بِهِ كَلِمَةَ اَلْمُسْلِمِينَ، أَللَّهُمَّ أَصْلِحْ بِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، وَأَقِرَّ عَيْنَهُ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ، أَللَّهُمَّ اجْعَلْ بَلَدَنَا هَذَا بَلَدًا آمِنًا مُطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، أَللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنَّهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِهَ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أَللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَمْوَاتَ وَنَوِّرْ عَلَيْهِمْ قُبُورَهُمْ، وَأَصْلِحْ الْأَحْيَاءَ وَيَسِّرْ لَهُمْ أُمُورَهُمْ، أَللَّهُمَّ اِغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ اَلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ،اللَّهُمَّ وَكَفِّ الْحَاضِرِينَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَرَّ الْحَوَادِثِ وَفَوَاجِعِ الْأَقْدَارِ وَمَرَّ الْقَضَاءِ وَلَاتُرِيهِمْ فِي أَهْلِيهِمْ أَيَّ مَكْرُوهٍ يَارِبَ اَلْعَالَمِينَ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.